الشهود المفترى عليهم والذاكرة التاريخية لـ 14 تموز:

جبار كريم: قاسم كان يحب نفسه حبا شديدا ويرتاح للمديح أو لمن يبدي له الطاعة والثناء ولم يكن شيوعيا

رفعت الحاج سري اعدم لانه اقام خط اتصال مع المحلق العسكري المصري.. الزعيم كان يعرف بالامر وآثر الصمت

حازم جواد*

أعتذر مجددا القراء «القدس العربي» الاعزاء، فقد وعدتهم في مقالتي المؤرخة في السابع من نيسان (ابريل) ان اسدل الستار نهائيا على ما جرى في اللواء الاول يوم الرابع عشر من تموز (يوليو)، فقد كتب وقيل عنه الكثير وتكرار الحديث عنه اصبح مثيرا للقرف وملل القراء، دع عنك المساهمين والمخططين لتلك الاحداث الذين استندت الى شهادتهم، ومن ضمنها شهادة الرائد عبد الجبار عبد الكريم في محكمة المهداوي وعلى ما نقل عنه من آخرين. وكان سبب الضجة والانفعال هو سطران من الحلقة الثالثة التي نشرتها «القدس العربي» في العاشر من شباط (فبراير) الماضي عن خلفية المرحوم احمد حسن البكر العسكرية والسياسية.

اجد نفسي الآن مضطرا للعودة الى هذا الموضوع رغم ما اكدته سابقا بأن قصة اللواء الاول من اولها الى نهايتها لا تشكل الا صفحة صغيرة واحدة من صفحات الرابع عشر من تموز (يوليو) الكبرى التي لا تعد ولا تحصى. وسأنقل لقراء «القدس العربي» شهادات اخرى موثقة لم اتطرق اليها سابقا ومن ضمنها شهادة ثانية للضابط جبار كريم تفوق في اهميتها شهادته الاولى أمام محكمة المهداوي، وشهادة اخرى للضابط كامل محمود خطاب من ضباط الفوج الثاني في اللواء الاول، وشهادتان للضابطين المعروفين خليل ابراهيم حسين صاحب موسوعة 14 تموز (يوليو) والضابط عيسى الشاوي الذي عينته الثورة مقدما للواء الاول.

■ عقدت مجلة «آفاق عربية» ندوة حوار مطولة دامت اياما لعدد من الضباط الاحرار وقادتهم وبعض المنفذين والذين كانت لهم علاقة بالثورة وأدلى جميع من حضر بشهاداتهم الموثقة عن احداث الثورة وما سبقها من التحضيرات والمفاتحات الاولية لتكوين حركة الضباط الاحرار وكان كتاب «الذاكرة التاريخية» هو ثمرة تلك الجهود. وقيمته التوثيقية تكمن من انه لم يكتب من قبل كاتب او باحث او مشارك واحد وانما كان ثمرة جهود جمعية من قبل الاخوة العسكريين وبعض المدنيين الذين كانت لهم علاقة بحركة الضباط الاحرار.

كان العميد المتقاعد «الرائد» عبد الجبار عبد الكريم من ضمن حضور تلك الندوة وأدلى بما عنده فيها وشهادته تتسم بصراحتها ونزاهتها وصدقها التي يفتقدها الكثيرون هذه الايام.

كان من جملة من حضر تلك الندوة السادة الضباط مع حفظ الالقاب: محيي الدين عبد الحميد، رجب عبد المجيد، محسن حسين الحبيب، صبيح علي غالب، محمد سبع، صبحي عبد الحميد، خالد مكي الهاشمي، محمد مجيد، خليل ابراهيم حسين، نعمان ماهر الكنعاني، علاء الدين كاظم الجنابي، عيسى الشاوي، كامل محمود خطاب، محسن الرفيعي، نهاد فخري، عبد الجبار عبد الكريم، منذر سليم، عبد الله الخالدي، احمد ابو الجبن، اكرم محمود، فاضل محمد الساقي.

وجميع الحاضرين هم من الضباط الاحرار شارك بعضهم في احداث يوم 14 تموز (يوليو) وشارك آخرون بالتحضير لقيام الثورة.

وما يهمنا هنا هي الشهادة التي ادلى بها عبد الجبار عبد الكريم عن دوره الحقيقي في احداث العصيان المؤقت من قبل آمر اللواء الاول وفيق عارف وهي تشكل اضافة مهمة لشهادته الاولى التي ادلى بها أمام محكمة المهداوي في 15 شباط (فبراير) 1959 وهي مكملة لها وتتسم بصراحة وصدقية اكثر. فقد تحدث عن سبب تخلفه عن استلام التعليمات من المرحوم احمد حسن البكر يوم 13 تموز (يوليو) وهو السبب الذي لم يذكره امام محكمة المهداوي، كما تقدم شهادته هذه ـ وتحت شعور من الأمان والاطمئنان على ما يبدو وبعد اكثر من ربع قرن على احداث تلك الايام ـ تقييما لشخصية «الزعيم الاوحد» وهو الذي عرفه عن قرب وكان مرؤوسه في حرب فلسطين الاولى اثناء آمرية قاسم للفوج الاول. كما سنتطرق الى شهادات آخرين كانوا في «المسيب» او ان اسماءهم وردت في بعض المقالات ونسبت لهم بعض الفعاليات. ادار ندوة «آفاق عربية» الصديق الدكتور محسن جاسم الموسوي رئيس تحريرها والذي نفتقده منذ المحنة التي حلت بشقيقه الاستاذ عزيز السيد جاسم. كما شارك في ادارة الندوة الضابط الحر «البعثي» علاء الجنابي بصفته من ضباط التنفيذ يوم 14 تموز (يوليو).

أولاً: شهادات الضباط عما جرى في اللواء الاول: عبد الجبار عبد الكريم

يذكر في الصفحة (123) من كتاب «الذاكرة التاريخية»: جاءني خبر يقول ان الوصايا من عبد الكريم تقول «بعد كم يوم انتظروا الاذاعة»، واعتقد كان ذلك يوم 10 تموز (يوليو) على 11 تموز (يوليو) فراقبنا الاذاعة فلم نسمع شيئا (لم يذكر من الذي نقل وصايا عبد الكريم له ـ الكاتب).

وفي مساء يوم 13 تموز (يوليو) حضر المرحوم احمد حسن البكر وبلغ الضباط الذين يعرفهم ومنهم طارق رشيد... الخ.

ويمضي العميد عبد الجبار في الادلاء بشهادته فيقول في نفس الصفحة السابقة: في تلك الآونة كنت أمارس لعب «البوكر» فذهبت وأمضيت تلك الليلة (13 ـ 14 تموز (يوليو) في ناحية الاسكندرية لتمضية الوقت وعندما كنت احلق ذقني صباحا بعد عودتي الى البيت صاحت زوجتي: تعال اسمع ما تقوله الاذاعة، واذا بي اسمع البيان الاول بقيام الجمهورية وتقدم الجيش العراقي الى بغداد فأخذت سيارتي وذهبت الى الحامية ورأيت فوجي وهو مجتمع مهيأ للتدريب ففتحت راديو السيارة لكي يستمع الجنود الى نداء الثورة التي حدثت... الخ. ويكمل كما جاء بشهادته امام محكمة المهداوي التي اقتبست فقرات منها في مقالتي عدد السابع من نيسان (ابريل). كما ذكر في الصفحة (125) ان المهداوي كان خاتل (مختفي) فسألت لماذا؟ فقيل انه خائف من ان اعتقله.

تقييم شخصية عبد الكريم قاسم

يعود عبد الجبار عبد الكريم الى مداخلة ثانية في الندوة المذكورة نجد نصها على الصفحات (242 ـ 243 ـ 244) في كتاب «الذاكرة التاريخية»، حيث يذكر: انه كان متهما بأنه ناصري «أي من جماعة عبد الناصر» فلقد تشكل حزب في مصر كما تذكرون باسم «التحرير القومي» او اللجنة القومية (هيئة التحرير ثم الاتحاد القومي ـ الكاتب) وكان قاسم يجيبني «انني فوق الميول والاتجاهات» واستطعت بذلك ان اكون فكرة عنه هي انه يتصور ان جميع الاحزاب يجب ان تأتمر بأمره ويجب ان تأخذ اوامره بنظر الاعتبار وكنت افكر كيف ان كامل الجادرجي يتوجه بتوجيهات عبد الكريم او الشيخ مهدي كبة بعقليته وثقافته كيف يتلقى الاوامر من عبد الكريم او الحزب الشيوعي؟

ويمضي الرائد عبد الجبار مسترسلا في شهادته: اما قصة الشواف وقصة قطار السلام وانصار السلام فأقول انه كان مقررا ان يعقد المؤتمر في مدينة الحلة ولكن باصرار عبد الكريم قاسم نقل الى الموصل (وهذا يؤيد جميع الروايات السابقة من ان قاسما كان يبيت ويضمر شيئا لمدينة الموصل «ولتفجير الدنبلة» كما ذكرنا في الحلقة 11 يوم 20 شباط/فبراير ـ الكاتب).

ويمضي جبار كريم قائلا: كان عبد الكريم قاسم يحب نفسه حبا كثيرا وكان يرتاح للمديح او لمن يفرض له الطاعة والثناء. أما كون عبد الكريم قاسم شيوعيا فهذا غير صحيح ابدا وغير وارد وكل ما هناك انه «انا وحقود ويحب نفسه فقط» وأنا اعرفه من فلسطين 1948 حيث كان آمرا لفوجي وفي المسيب كذلك.

(هذه هي صفات وخصال عبد الكريم قاسم مدبر المذابح لشعب الرابع عشر من تموز/يوليو ولم يقلها من كان مخاصما له وانما جاء على لسان ضابط كان مناصرا له وقيل انه الوحيد من ضباط الجيش العراقي الذي استلم تكريما خاصا من قاسم لدوره المميز في ثورة 14 تموز/يوليو ـ الكاتب).

2 ـ اللواء كامل محمود خطاب ويذكر في شهادته المطولة على الصفحات (133 ـ 114 ـ 115 ـ 116 ـ 118) تفاصيل ما حدث في المسيب منذ ان استدعاه المرحوم احمد حسن البكر الى النادي العسكري ليلة 13 ـ 14 تموز/يوليو وابلغه بصورة قاطعة ان الثورة ستتفجر يوم غد وعليهم الانتباه من حدوث ارباك او انقسام وعليكم السيطرة على الوضع. واضاف البكر ان اشارة الثورة سيكون البيان الاول وستسمعونه من الاذاعة. ثم يصف اللواء كامل محمود كيف انه جمع 30 ضابط صف من خيرة ضباط الصف وقادهم الى مقر اللواء وكان آمر اللواء وفيق عارف وضابط ركنه داود البدر والعقيد جبار يونس والمقدم نجيب محمد علي يتلقون الاوامر منه للحركة. عندها شهر مسدسه واطلق طلقتين في الهواء وهتف بحياة الثورة وحمله الجنود على الاكتاف... الخ.

علما بأن الضابط كامل محمود اشاد بالرائد جبار كريم وبشهامته وحماسه وذكر انهم كانوا يطلقون عليه اسم عبد الكريم عمري تحببا، وقد اقترح اللواء كامل على منظمي ندوة الذاكرة التاريخية استدعاء العميد عبد الجبار عبد الكريم ليدلي بشهادته وقد تم ذلك ولم تتناقض شهادة عبد الجبار اللاحقة بشهادة الضابط كامل محمود خطاب.

عيسى الشاوي

يذكر الضابط عيسى الشاوي في الصفحات (96 ـ 97 ـ 122 ـ 123)، المصدر السابق، انه كان معلما اقدم في الكلية العسكرية، وفي يوم 13 تموز (يوليو) 1958 جاءني سعيد مطر آمر فصيل عند عبد اللطيف الدراجي وقال: التنفيذ سيكون اليوم وسأعطيك التفاصيل عندما ازورك في البيت، ولم يزد على ذلك. (لم يوضح السيد عيسى لماذا اتصل به سعيد مطر؟ ـ الكاتب).

ويمضي عيسى الشاوي قائلا: انتهى الدوام وعدت الى البيت ولم يأت سعيد مطر وكتصرف فردي فيما يتعلق باللواء الاول كان عندي اثنان من الضباط الذين اعرفهم احدهما عبد الجبار الزبيدي والثاني عبد اللطيف حسن برتبة رئيس اول وقد عملا مدة في اللواء الاول، بحثت عنهما ووجدتهما وقلت لهما: هل لديكما قابلية للذهاب الى المسيب والموضوع التهيؤ للثورة، قالا: نعم نحن حاضران (والشاوي لم يذكر من الذي طلب منه ذلك ـ الكاتب). ويمضي الشاوي قائلا: ولم استلم تفاصيل فلم استطيع القيام بشيء ولكني سمعت البيان صباحا فقصدت الدفاع وكان الدراجي قد فتح مقرا له في الباب، قلت له لماذا لم تخبروا كل الناس؟ اخبرنا من تمكنا اخبارهم. لكن عدم اخباري كما عرفت فيما بعد كان مقصودا من سعيد مطر ولم أكن اعرف بشيوعيته... الخ، هذا كل ما جاء بشهادة السيد عيسى الشاوي حول احداث اللواء الاول وهي لا تحتاج الى تعليق.

خليل ابراهيم حسين

في مداخلة له في الصفحة (171) من المصدر السابق يذكر: كان لعبد الكريم قاسم تنظيمه وكان يتصل بالضباط وكان عبد السلام يفاتح الضباط ومن بين الضباط الذين فاتحهم المرحوم احمد حسن البكر وعندي رسالة من الذين ذهبوا الى المسيب بتكليف من عبد السلام (وهذا يؤيد صحة رواية الكاتب) فمن أي تنظيم كان المرحوم احمد حسن البكر الذي ذهب الى المسيب؟

هذا كل ما حدث في اللواء الاول وقد نقلناه من افواه المشاركين والمخططين والمنفذين وكل ما قيل كان مكتوبا وموثقا الا ان بعض المتطفلين والهواة يرون من عندياتهم لهذا الغرض او ذاك، وقد تكاثروا هذه الايام وبعد ان استبتب العراق من نفس القوى التي تهيأت يوم 14 تموز (يوليو) للانقضاض على الثورة الفتية ومن نفس القوى الداخلية العائلية التي اختفت عن المسرح السياسي العراقي وولت الادبار الا انها عادت مجددا الى العراق العظيم محتمية بقوى الاحتلال الغاشم.

لقد بالغ قادة الضباط الاحرار بامكانيات اللواء الاول وتخوفهم منه واثبتت الاحداث عدم دقة وصحة تقييماتهم، فالتخطيط العسكري لعملية شيء والقيام بثورة تتطلع لها وتسندها الجماهير الشعبية شيء آخر، وأوضح الدلائل على ذلك ما جرى في اللواء الاول نفسه فقد عجز آمر اللواء (الملكي) حتى من تأمين فصيل واحد لحماية نفسه واضاع ساعات ثمينة في اجراءات ادارية لا طائل يرجى منها وهو لا يعلم ان قائد الجيش (شقيق رفيق عارف) قد تم اعتقاله من قبل الضباط الشجعان احمد ابو الجبن وعلاء كاظم وخزعل العباسي وقبل ان يبدأ عبد السلام عارف باذاعة بياناته الثورية. كما ان الجماهير كادت ان تفتك بوفيق عارف واركانه وقائد الفرقة الاولى عمر علي بعد ان اغلقت جميع طرق ومنافذ مدن وقصبات مثلث الموت الحالي.

ويجمع الضباط الاحرار والمؤرخون على ان العصيان الذي كان قائما ذلك اليوم في مدينة كركوك بقيادة قائد الفرقة الثانية عبد الوهاب شاكر وعسكر محمود آمر الفوج الثاني لواء الرابع كان اكثر خطرا على الثورة من فقاعة ما جرى في اللواء الاول وذلك بسبب وجود آبار النفط ومقر شركة IPC في كركوك مما كان يعطي ذريعة للقوات البريطانية او قوات احدى دول «حلف بغداد» بانزال قواتها هناك ويساعدها في ذلك حالة العصيان العلني القائمة هناك والتي لم تنته الا مساء يوم 14 تموز (يوليو) وتلك قصة اخرى لا نريد ولا نرغب في عرض تفاصيلها على الناس وقلوبنا وعقولنا تتابع ما يجري في عراقنا الحبيب والويلات والمصائب والكوارث التي جلبها الاحتلال واتباعه.

ثانيا: الشهيد رفعت الحاج سري والبرقية المفبركة

كنا قد ذكرنا في الحلقة الثامنة من حركة 8 شباط (فبراير) بتاريخ 16 شباط (فبراير) قصة ونص البرقية المزورة التي فبركها عبد الكريم قاسم، او انها دست له، وبينت بالقرائن المتوافرة وظروف العراق في الايام الاربعة التي اعقبت ثورة تموز (يوليو) ان جهة ما قد سربت تلك البرقية الى قاسم وانه لمن المستحيل ان يقوم جهاز الاستخبارات العراقي بفك برقية محضورة صادرة من سفارة الجمهورية العربية المتحدة. فالاستخبارات العراقية حتى في الظروف الاعتيادية عاجزة عن القيام بعملية فك التشفير الذي يتطلب تقنيات وخبرات متقدمة لا يملكها العراق آنئذ. وبعدئذ فكيف بالحال وقد قامت الثورة واعتقل معظم ضباط الاستخبارات ومن بينهم احمد مرعي مديرها ومعاونها سيد امين بكر وضباط آخرون. لكننا نعلم سابقا والآن ان حزب الشعوبيين العراقيين هو الذي قام بتسريب تلك البرقية المزورة الى قاسم لكن كتّاب المذكرات الشيوعيين اغفلوا اي ذكر او اشارة لها عندما يؤرخون لتلك المرحلة من تاريخ العراق.

وقد طلع علينا احد الهواة مؤخرا واعترف بيقين لا يتزعزع بصحة وجود تلك البرقية وذكر ان الاستخبارات العراقية برئاسة المرحوم رفعت الحاج سري هي التي قامت بفك رموز تلك البرقية وسلمتها الى قاسم.

ويعلم كل من له علاقة بثورة تموز (يوليو) ان المرحوم رفعت كان «مضربا» تلك الايام وامتنع حتى عن تقديم التهنئة لزملائها قادة الثورة وبالاخص قاسم وعارف. وان العميد خليل ابراهيم حسين عين معاونا لمدير الاستخبارات الذي كان العقيد عبد المجيد سعيد وعين وكالة بصورة مؤقتة. وصل في الاسبوع الاخير من شهر تموز (يوليو) الى بغداد والعقيد عبد الحميد السراج للتهنئة بالثورة وللسلام على قاسم وعارف اللذين كانا يتصلان به قبل تموز (يوليو) وللاطلاع على وثائق «حلف بغداد» المكدسة في مقره. واكتشف من الوثائق ان عبد المجيد سعيد الذي عين مديرا بالوكالة للاستخبارات العراقية كان عضوا نشطا في احدى اللجان العسكرية السرية التابعة لـ«حلف بغداد» وعند اجتماعه بقاسم وعارف نصحهما بأن دائرة الاستخبارات لا يجب ان يستلمها الا واحدا من الثوار المخلصين فأمن الثورة والجمهورية وأمنهم سيكون بيد هذا المدير الامين. قرر قاسم وعارف بعد ذلك تعيين المرحوم رفعت في ذلك المنصب وقاما بمحاولات شاقة لاستدعائه من بيته وقبوله بتسلم ذلك المنصب، وشارك معظم قيادات الضباط الاحرار باقناع المرحوم رفعت بذلك واقتنع بذلك اخيرا والتحق بمنصبه الجديد في الاسبوع الاول من شهر آب (اغسطس) 1958 علما بأن تلك البرقية المزورة كانت مؤرخة في 18 تموز (يوليو).

كان مجيء عبد الحميد السراج ونصيحته المخلصة لقاسم وعارف ووطرة المرحوم رفعت بخضوعه لضغوط رفاقه بقبول منصب مدير الاستخبارات مصدر شؤم عليه. فبعد سنة من ذلك التاريخ دوى الرصاص مجددا في ساحة ام الطبول وخرق الرصاص صدر الشيخ رفعت الحاج سري الذي حارب في فلسطين عام 1948 وأقام معملا لصنع الالغام لمجاهدي فلسطين هناك وأسس لحركة الضباط الاحرار وكان في قيادتها من اول يوم تشكيلها لحين اغتياله من قبل قاسم.

كانت التهمة التي اعدم رفعت الحاج سري بسببها هو انه قام بنصب خط تلفوني خاص (يطلق عليه تلفون سري وهو ليس كذلك) بينه وبين عبد المجيد فريد الملحق العسكري في سفارة الجمهورية العربية المتحدة والذي امضى الاسابيع نائما في غرفة مجاورة لغرفة نوم قاسم نفسه في وزارة الدفاع.

لقد تم نصب ذلك التلفون (السري) بأمر من عبد الكريم قاسم نفسه ليسهل الاتصال بالملحق العربي لتلبية حاجات الجيش العراقي وما تطلبه قيادة الثورة من طلبات اخرى.

وبعد ما يقرب الاربع سنوات من اعدام رفعت ووصول قاسم الى اذاعة بغداد يوم التاسع من شباط (فبراير) سئل المهداوي عن قصة التلفون المزعومة فقال ان قاسم هو الذي ذكرها له وطلب اعدام رفعت والآخرين بسببها. مد عبد السلام عارف القرآن الكريم الذي كان بيده مرة اخرى في ذلك اللقاء نحو قاسم وطلب منه القسم عليه من انه لم يأمر بنصب ذلك التلفون المشؤوم بنفسه.

ولاذ قاسم بالصمت المطبق كما فعل في الاسئلة السابقة الا ان نفسه خانته اكثر هذه المرة فأردف صمته بأعراض متزامنة اخرى كتمناها سابقا اكراما لثورة تموز (يوليو) العظيمة.

اعتمدت على كتاب «الذاكرة التاريخية لثورة 14 تموز (يوليو) 1958»، الطبعة الاولى، 1987.

* امين سر القيادة القطرية الاسبق ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة الاسبق

مجلس الوزراء العراقي من اليمين عبد الكريم قاسم، عبد السلام عارف، صديق شنشل، فؤاد ركابي ومحمد حديد

حازم جواد ومعالجة التاريخ:

انتقدت والدي لتستره على دور المهداوي والبكر ولكنه لم يخن عبد الكريم قاسم ولم يتآمر عليه

علاء الدين الظاهر*

■ للأسف يصر البعض على العزة بالاثم ويرفضون ان يتعلموا شيئا جديدا بل يلجأون الى التحريف والمناورة ولي الحقائق وبالتالي الاستنتاجات الخاطئة. كل ما اعتمده حازم جواد هو ادعاءات اصدقائه بينما امتلك انا الوثائق والمصادر. لم تكن غايتي الدعاية للمرحوم والدي عندما كتبت عما قاله حازم جواد حول ما حدث في اللواء الاول في 14 تموز (يوليو). كل ما اردت تبيانه هو ان حازم جواد اخطأ في ذكر اسم عبد الستار عبد اللطيف بكونه الضابط الذي طلب من احمد حسن البكر تبليغ الضباط الاحرار في المسيب في حين ان كل الشهود والمصادر تشير الى ان عيسى الشاوي هو من قام بذلك وطلب نفس الشيء من مجموعة ثانية من الضباط. كما اخطأ حازم جواد عندما ادعى بأن احمد حسن البكر قام بمساعدة والدي في السيطرة على اللواء الاول. وقد تجنبت الحديث تماما عن دور والدي وذكرت اسماء كل الضباط الذين ساعدوه في تلك المهمة ولم يكن احمد حسن البكر من ضمنهم. في الواقع كان سلوك احمد حسن البكر ازدواجيا عندما اخبر ضباطا من خارج تنظيم الضباط الاحرار عن موعد الثورة وحال دون قيام المجموعة الثانية بإخبار الضباط الاحرار. لا افهم كيف يستنتج أي انسان بأن هذا السلوك يعني بأن احمد حسن البكر كان «لولب» العملية.

سلوك مماثل للبكر مع حازم جواد يسميه حازم جواد في مذكراته «ثنائيا». فأين هو الخلاف؟ ولا اعرف كيف استنتج حازم جواد بأن البكر قام بتبليغ الضباط الاحرار في الفرات الاوسط والديوانية بينما لم يتعد دوره تبليغ ضباط المسيب بموعد الثورة وهو امر لم يقم به كما يجب. ولكي اريح حازم جواد من كل تصور خاطئ عن دور البكر في المسيب دعني انقل جواب البكر عندما سُئل عام 1969 عن دوره فقال بعد ان اصبح رئيسا للجمهورية ان دوره كان بسيطا لا يتعدى تبليغ الضباط الاحرار في المسيب بموعد قيام الثورة (انظر صحيفة «الحرية» في 14 تموز/يوليو 1969). وهناك امور كثيرة جاءت في رد حازم جواد بعيدة تماما عن الحقائق والواقع عما حصل في المسيب وردود الفعل في بغداد لأنه لا يزال يصر على ترديد الكذبة الناصرية عن وصول عبد الكريم قاسم الى دار الاذاعة في الثانية عشرة والنصف ولو قرأ المذكرات والكتب التي صدرت في عهد صدام حسين لوجد ان عبد الكريم قاسم وصل الى بغداد في التاسعة والنصف.

كما لا يعرف حازم جواد أي شيء عن تنظيم الضباط الاحرار عندما يتصور خطأ بأن فاضل عباس المهداوي كان مسؤولا عن والدي او خلايا الضباط الاحرار في المسيب.

لست مستاء من نقد والدي اذا ما نقل حازم جواد عنه إضافة لقب «الاوحد» الى هتافه بحياة الزعيم عبد الكريم قاسم وهو تعبير ابتدعه الصحافي القومي يونس بحري. واضيف الى ذلك بأن والدي ايضا هتف بحياة الوحدة العربية وجمال عبد الناصر ولم يذكر ذلك في المحكمة بسبب انفجار الخلاف بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم. ورغم فخري بدور والدي في ثورة 14 تموز (يوليو) فأنا لست سعيدا البتة بمحاكمة وفيق عارف او عبد الجبار يونس او عمر علي وقد كان ذلك واضحا من تعقيبي المنشور. لكن هكذا كانت ظروف العراق. وقد انتقدت والدي على تستره على دور المهداوي المتخاذل وعلى تستره على احمد حسن البكر ودفاعه عنه بعد اعتقاله ونفيه عنه تهمة التآمر على نظام عبد الكريم قاسم وقد تقبل المرحوم والدي هذا النقد برحابة صدر وشاركني اياه وهذا ما تعلمناه وإن كان بعد خراب البصرة. ليس هناك ضرر من النقد البناء اذا ما راجعنا اخطاءنا وتعلمنا منها. وهذا ما كان على حازم جواد تعلمه بدلا من التطبيل والتباهي بجريمة الانقلاب البعثي لعام 1963. وبدلا من ان يحاول حازم جواد (..) الانتقاص من والدي وشهادته يجب عليه ان يعطي نسخة من محاكمة عبد السلام عارف او يعيد بثها كما فعل رفاقه السوريون بعد انقلاب 18 تشرين الثاني (نوفمبر) ليسمع الناس كيف تصرف عبد السلام عارف اثناء محاكمته. أليس عبد السلام عارف من ابتدع قبل الثورة جملة (ماكو زعيم إلا كريم)؟ وبإمكان حازم جواد ايضا ان يقتبس ما قاله رفيقه البعثي كريم شنتاف اثناء محاكمته على محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم لعام 1959 بأن البعثيين يموتون حبا بعبد الكريم قاسم. ومن الحب ما قتل!!! والدي لم يخن عبد الكريم قاسم ولم يتآمر عليه وهذا ارفع وسام له. وبقي والدي وفيا لقائده في حرب فلسطين ورئيس تنظيم الضباط الاحرار وقائد ثورة العراق وهذا شرف آخر له. وعلى حد علمي لم تتلطخ يد والدي بدم العراقيين وهذا شرف اعلى آخر له لا يقل عن مشاركته في 18 تشرين الثاني (نوفمبر) 1963 في تطهير بغداد من نظام البعث. لقد عرفت الكثير من الضباط القوميين لكني لم اعرف منهم رجلا اكثر اخلاصا للوحدة العربية من والدي.

لدي مانع من ان يستشهد حازم جواد وغيره بإفادة والدي في المحكمة إذا ما اخذ في نظر الاعتبار ظروف العراق واللغة السياسية التي كانت سائدة في ذلك الحين. واضيف عندي نسخة التقرير الرسمي الذي رفعه والدي بعد الثورة مباشرة الى عبد الكريم قاسم عما حدث في المسيب وعندي الكتب الرسمية من قائد الفرقة الاولى سيد حميد سيد حصونة وكذلك مقابلة اجرتها صحيفة (الثورة) مع والدي وعندي ايضا ما نشر لاحقا في كتب ودراسات.

ومقالة كتبتها بعد الحاح من ناشر موقع للانترنت وحرصت فيها على ان أفي كل ذي حق حقه، وذكرت فيها حتى اسماء الجنود. وفي هذه المقالة ذكرت ايضا ادوار الضباط في الثورة في مواقع عسكرية اخرى ولم ادعِ ان دور والدي كان الوحيد بل على العكس ذكرت ادوار جاسم العزاوي وعبد الكريم فرحان وعارف عبد الرزاق وقاسم الجنابي وغيرهم. اما تشكيك حازم جواد بقضية وسام الرافدين والقدم العسكري الذي منح لوالدي بسبب دوره في الثورة فهو موجود في بيتنا وحيثيات هذا المنح موجودة في اضبارة والدي العسكرية ومن السهولة بمكان اثباتها.

لقد كان الوضع حرجا في المسيب بسبب عدم تبليغ والدي مسبقا وتردد الضباط الاحرار في الموقع واصرار وفيق عارف على مقاومة الثورة. دعني انقل ما كتبه جاسم كاظم العزاوي «قام الرئيس الاول عبد الجبار عبد الكريم، مبديا شجاعة نادرة واندفاعا متميزا، يساعده الملازم الاول طارق عباس فضلي (يقصد حلمي) والضباط الآخرون باعتقال آمر اللواء وهيئة ركنه. وبعد ذلك هيأوا اللواء للحركة الى بغداد لمساندة الثورة لا لمقاومتها، وهنا برز المهداوي الذي استلم اللواء ... ». اما سعدون عبد الرزاق حلمي فيقول عن عودته للمسيب في 14 تموز (يوليو) «ووجدنا الاخ الشهم المقدم عبد الجبار عبد الكريم ـ واني اقولها للتاريخ لولا هذا الرجل لكان الموقف في المسيب قد اخذ وجها آخر». وإذا كان حازم جواد قد كتب في عام 1959 عن دور والدي فأقدم له شكري الشخصي لكن لا يمكنني ان اغفر له جريمة 8 شباط (فبراير) 1963 وهي جريمة وطنية كبرى تعلو على اية قضية شخصية.

لقد تركت الحديث للاستاذ عبد الوهاب الامين حول كفاءة احمد حسن البكر العسكرية لأن عبد الوهاب الامين كان قائده السابق. لكن للاسف اثار حازم جواد امورا اخرى لا صلة لها بهذا الموضوع للاساءة لهذا الرجل ومن دون ان يجرؤ على تسميته بالاسم تماما كما لم يجرؤ في مذكراته على تسمية من وصفه بـ (الضابط الفلامبوينت flamboyant) الذي حاول عبد الحكيم عامر «تعيينه» رئيسا للعراق بعد وفاة عبد السلام عارف ونحن نعرف ان هذا الضابط كان من المشاركين الرئيسيين في انقلاب 8 شباط (فبراير)، من ضمن ما اثاره حازم جواد عن الاستاذ عبد الوهاب الامين هي قضية ذهابه الى دار الاذاعة في 8 شباط (فبراير) 1963 مدعيا انه جاء للتهنئة بالانقلاب. في الواقع ذهب عبد الوهاب الامين في مهمة وساطة وتحدث مع عبد السلام عارف عنها وإذا لم يعرف بهذا حازم جواد فهذه مشكلته. بعد الحكم بالاعدام على عبد السلام عارف في عام 1959 جاء الى بيت عبد الوهاب الامين كل من عبد الرحمن عارف ووالده (محمد عارف) وطلبا منه التوسط لدى عبد الكريم قاسم للعفو عن عبد السلام عارف وهذا ما قام به. وفي 8 شباط (فبراير) 1963 ذهب عبد الوهاب الامين الى دار الاذاعة ليقوم بنفس الدور ويذكّر عبد السلام عارف بدوره في العفو عنه. وعلى حد علمي أقسم له عبد السلام عارف بالقرآن بأن أي شيء لن يحدث لعبد الكريم قاسم اذا ما استسلم.

عبد السلام عارف

من حق حازم جواد ان يكون مفتونا بالبكر او بعبد السلام عارف. لكن المعرفة بعبد السلام عارف ليست حكرا على حازم جواد الذي كان طفلا عندما تخرج والدي من الكلية العسكرية. معرفة والدي بعبد السلام عارف قد تسبق حرب فلسطين، فهم ضباط حتّمت عليهم مهنتهم الانتقال بين الوحدات العسكرية والتعرف على بعضهم البعض. لكني اعرف على وجه التحديد من المرحوم اللواء الركن كمال مصطفى علمدار ان والدي يعرف عبد السلام عارف على الاقل عندما كانا معا في منطقة جنين اثناء حرب 1948. كما عرفنا احمد حسن البكر على الاقل عند اقامته في المسيب.

لقد ضيع حازم جواد الكثير من الوقت في التخبط في رده علي مثلما ضيع الكثير من حيز مذكراته في الرد على ضابط برتبة ملازم لا أود حتى ذكر اسمه. وفي رده الاخير تخبط ايضا عند الحديث عن الدكتور سعد الحريري وتصوره انه كردي ظهر على قناة (الجزيرة) وأسهب في الحديث عن علاقة القيادة الكردية بانقلاب 8 شباط (فبراير).

ورغم انني لم ألتق بسعد الحريري لكني اعرف انه من عائلة قومية وشقيق للمرحوم فاروق عمر الحريري وهو من دورة عمي في الكلية العسكرية وكان يقود احد افواج الحرس الجمهوري في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف (امد الله في عمره واعطاه كل الصحة والعافية). وان لم تخني الذاكرة كانت عائلة الحريري تسكن في احد شوارع الاعظمية حيث كان يقيم فيه احد اصدقائي.

يحاول حازم جواد الاساءة شخصيا لي عندما يقول خاطئا بأنني اتفاخر بوالدي ولا امتلك ما اتفاخر به شخصيا او يلمح خاطئا بأن لي صلة بالحرب الاخيرة على العراق رغم ان رفاقه السابقين هم بعض من عمل على الترويج لها وأثروا من ورائها.

* جامعة توانتة ـ هولندا